



موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

تعريب د. جورج حبيب بباوي

سُرُّ عَمَّا صَلَّبَ

رباعية شعرية لمار يعقوب السروجي



شريعة الصليب

رباعية شعرية لمار يعقوب السروجي

ترجمة وتعريب

دكتور جورج حبيب بباوي

أكتوبر ٢٠١٣

- ١ -

عَلِّمْنِي يَا ابْنَ اللَّهِ كَيْفَ أُتَحَدَّثُ عَنْ صَلِيْبِكَ؟
كَلِمَاتِنَا الْبَشْرِيَّةُ مَلَوْنَةٌ بِمَا نَعْرِفُ، وَمَدَهْوَنَةٌ بِمَا نُحِبُّ
أُرِيدُ كَلِمَاتٍ صَافِيَةً تُشْرِقُ بِنُورِ مَحَبَّتِكَ،
وَلَنْ أَجِدَهَا إِلَّا فِي كَلِمَاتِ الرُّسُلِ الَّذِينَ سَمِعُوا الْكَلِمَاتِ النَّقِيَّةِ مِنْ فَمِكَ الْإِلَهِيِّ.

- ٢ -

وَجَدْتُ عِنْدَكَ، لَيْسَ الْكَلَامُ النَّقِيَّ فَقَطْ، بَلْ يَنْبُوعُ الْمَحَبَّةِ الْفِيَاضِ
وَجَدْتُ لَدَيْكَ مَا لَا أَرَاهُ عِنْدَ الْبَشَرِ، وَمَا لَا أَعْرِفُهُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ
أَنْتَ الْمَلِكُ الَّذِي رَفَضَ أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدَ يَدْفَعُ الدَّيْنَ
وَلَمَّا رَفَضَ ذَلِكَ الشَّرِيرَ أَنْ يَسَامِحَ رَفِيقَهُ؛ تَغَرَّبَ عَنْ رَحْمَتِكَ

- ٣ -

أنت السيّدُ الذي لا يُقاومُ يدي عبيده وهي تدقُّ المسامير
أيها العزيز القوي والمنيع، لم يتسرب الغضب إلى قلبك
لم تتراجع عن شريعة المغفرة، فهي قانونُ المحبةِ الأوّل
وفي عذاب الموت ووخز المسامير والشوك، أعلنت الصّفح

- ٤ -

أنت خالقُ كلِّ الأشياء بكلمتك يا كلمة الله الأزلي
أنت واهبُ الوجودِ والحياةِ والحركةِ، وحافظُ كلِّ الأشياءِ
بكلمةٍ منك تفق الخليقةُ، وبكلمةٍ منك تتحررُ
الكونُ كلُّه نقطةً ماءٍ في يدك التي تضبطُ كلِّ الأشياءِ

- ٥ -

ولم تنطق أيها الحيّ المصلوبُ بين لصين، سوى كلمات المحبة
رأيتُ أمَّكَ وتلميذَكَ، ونسيتُ عذابَ الصليبِ
تذكَّرتُ التي حملتكِ على رجليها، وأرضعتكِ اللبنِ
وصرَّختُ أحشائِكَ تطلب من يوحنا أن يأخذها كأُمِّ له

- ٦ -

نسيتُ الآلامَ لما رأيتُ ذلكَ المجرمَ الأثيمَ
نسيتُ تعديياتَ ذلكَ اللصِّ سارقِ الناسِ
ابتسمتُ تحتَ دماءِ الإكليلِ لما تأملته يسرقُ الفردوسَ
اليومَ أنتَ معي في الفردوسِ، ذلكَ الذي كنتَ تراه في محنةِ الجلجثةِ

-٧-

عندما نتألم يا سيد الكلِّ، نرى العذابَ، وأحيانا نفكرُ في الراحةِ
عندما نتعدَّبُ، نراقبُ النهايةَ بشوقٍ يزيدُ العذابَ
عندما نتألمُ، ننظرُ حولنا، ونرى من يواسي ويُعزِّي
أمَّا أنت يا سيد المتألمين ومخلِّص الحزاني يا ملك العزاء، أنت أعظمُّ

-٨-

لا يحاصركُ الألمُ الذي غلبته في المتألمينَ
لا يقوى عليك العذابُ الذي شفيتها في المفلوجينَ
لا يقيدك الحزنُ الذي طردته من قلب مريم ومرثا
والموت لا يُرعب الذي أعاد لعازر بعد أن دبَّ فيه الفسادُ

- ٩ -

كيف تألمت يا سيد المرحومين، وكيف توجعت يا مخلص!

كان عذاب صليبك هو جهل الصالين وقسوة القاتلين

جراح قلبك كانت أعظم من جراح يديك

وعذاب خيانة يهوذا الذي سلمك بقبلة كان أفظع من الإكليل

- ١٠ -

لم تك قبل تجسّدك غريباً عن حضن الآب

أنت فيه، وهو فيك، ولا تقوى أيّ قوة أن تفصل المحبة

لو انفصلت المحبة على الصليب، لصار الصليب ينبوع موت

أشرفت محبتك ومحبة الآب على الصليب بقوة الروح القدس

- ١١ -

مُسِحَتْ عندما خرجتَ من مياهِ الأردنِ، وصرتَ المسيحَ
وكل الذين مُسِحوا قَبْلَكَ من ملوكِ وأنبياء، كانوا علاماتِ
روحِ القوَّةِ دَهْنِ جسدِكَ وروحِكَ الأدميةِ بقوَّةِ وجمالِ
صرتَ الحَمَلِ الحقيقي بوادعة الروح القدس ومحبة الآب

- ١٢ -

الآن يا مسيح الآبِ القوي الذي يحمل صورة آدم
يا مجد الأزل الذي لَبَسَ التراب، أي اللحم والدم
يا قوة الحكمة، وحكمة المحبة ورجاء كل الخليقة
تتواضع لكي تنال الروح القدس لأجلي لكي أناله فيكَ وبِكَ

- ١٣ -

أنت يا سيّد الناطقين سَكَّتْ عندما سَمِعَتْ صوتَ الآبِ

يا كلمة الله الحي الذي يُعطي الحياةً للكلِّ

أنت تقبلُ رسمَ حمامةِ الروح القدس، أي الصورة التي خلقتها

تأخذُها من روح الحياة؛ لكي تضم روحياً، ما خلقتَه بقوتك

- ١٤ -

بعد أن مُسحتَ بقوة الحياة يا حياة الكلِّ

جعلتَ عطرَ الخلودِ ثيابَ جسدك المقدسِ

بالروح صرتَ الحملَ، وأنت بتواضعك تنزل من مجدك الأزلي

مُسحتَ بالروح كما يُمسح الحملُ بعد ولادته

- ١٥ -

يقودُكَ الروحُ كما قاد الأنبياءَ قديماً

كانوا لا يعرفون قيادةَ الروح حتى يسمعوا صوته

أمَّا صوتُ الروح، فهو معك قبل تجسُّدِكَ

والتدبيرُ أنت تعرفه قبل أن تحلَّ في أحشاءِ البتولِ

- ١٦ -

صرتَ تسمعُ كآدم الثاني، صوتَ الحياةِ

وكلمات ما دوَّنته أنتَ في الأسفارِ على شفطيك

يا لغرابة هذه السيمفونية! واضعُ الأنغامِ يسمعها

وخالقُ قيثارةِ الأسفارِ، ومُرتَّبُ ألحانها يعزفها

- ١٧ -

وسَمِعَ العنيدُ الشريِرُ قولَكَ الإلهي واختلَ فكرُه
عَرَضَ عليك الخبزَ، وعرضتَ عليه كلمة الله، فرفض
عَرَضَ عليك السجود، وعرضتَ عليه الوصيةَ وتاه
عَرَضَ عليك الوعدَ الإلهي، وقدّمت الطاعة لله، فهرب منك

- ١٨ -

يقودُكَ الروحُ إلى بيوتِ الأرامِلِ وأحزانِ المرضى
تسمع أنينَ المعدِّبين، ومثلُ كاهنٍ تنقلها إلى الروح
مثلُ راعٍ تخاطبُ الآبَ باسمِ البشرية
كَمَلِكٍ تجمع رعاياك حولك لكي توزِّعُ العطايا

- ١٩ -

يا سيّد القوات السمائية، والجالس على عرش العظمة في الأعالي
أنت الآن، نعم، أنت هو هو بذاتك جالس على عرش الصليب
كل ما قلته لنا قبل الصليب، صار حقيقةً لامعةً على الجلجثة
أنت الآن تخاطبنا بالدم والعرق وبالآلام تُعلنُ شريعة الصليب

- ٢٠ -

علمني يا سيّد الوصايا العشر الجديدة التي خزنتها في الصليب
هذه أول وصية وصلتني من آدم الأول:

الصليب تواضع الأقوياء

سقط المتشامخ الأول^(١) وجرّ معه المتشامخ الثاني^(٢)

(١) الشيطان.

(٢) آدم.

- ٢١ -

وهذه هي الوصية الثانية: المحبة تغفر دائماً

لا تتراجع عن المغفرة، ولو كانت توبه الخطاة ضعيفةً

لا تغفر بسبب التوبة، بل تغفر لأنها المحبة

تجوّد بكلّ شيء، ولو كانت الحياة

- ٢٢ -

والوصية الثالثة: المحبة بلا سببٍ

لا تُفكّر المحبة في دافع المعتدين

لا تبحث عن النوايا، رغم أهميتها

لا تُعلّق المحبة قرارها على ما يفعله الآخرون

- ٢٣ -

هل صُدمتَ يا ابنَ البيعةِ بهذه الكلمات؟

اسمع صوتَ مُعلِّمِ المحبةِ يسوعَ المسيح:

يا أبتاهُ اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون

غفراً لا يبحث عن الدافع، ولا يدرس النوايا

- ٢٤ -

هل دخلتَ هذه الكلماتُ إلى قلبك، لو رأيتَ لصاً يسرقك؟

هل سكنتَ هذه الكلمات في فكرك، لو علمتَ بخيانة؟

هل مددتَ يدَ الحنانِ لخادمٍ أساءَ إليك، أو ابناً تمرّدَ عليك؟

هل جَلستَ عند الصليبِ وقلتَ مع يسوع ذات الكلمات؟

- ٢٥ -

يا سريعُ في العقاب أنت غريبٌ عن الصليبِ
لا تلبس صليباً ذهبياً جميلاً، وأنت بالكراهية قبيحُ
لا تُمسك بالصليب في يدك، وأنت تقتلُ بـفمِكَ ولسانِكَ
لا ترشم علامة الصليبِ إلَّا لكي تأخذ قوةً لمحبةِ الأعداءِ

- ٢٦ -

الوصيةُ الرابعةُ قد تبدو لك سهلةً
نطقُ بها المخلصُ قبل أن يُصلبَ وحقَّقها على الصليبِ:
كلُّ مَنْ أراد أن يأتي ورائي، فليجحدَ ذاته
وَجَحَدَ ذاته عندما تركَ الآلامَ وتذكَّرَ أمَّهُ

- ٢٧ -

جحدُ الذاتِ سهلٌ عندما ننسى هذه الذات

بالمحبة نخرجُ من حصارِ الأنانيةِ وتفاهةِ محبةِ الذاتِ

بالمحبة نجحدُ الذاتَ لكي بالمحبة نعلمَ كيف نُحبُّ أنفسنا

جحدُ الذاتِ أن لا نعيشَ لأنفسنا كما قال الرسول

- ٢٨ -

الوصيةُ الخامسةُ لشريعةِ الصليبِ

تُشرقُ في كلمات الوعد والرجاء للّصِّ اليمين:

اليومَ أنتَ معي في الفردوسِ

لا تنسى الرجاءَ مهما كان عذابُ الصليبِ

- ٢٩ -

سَقَطَ التلميذُ في اليأسِ بسببِ الكبرياءِ^(١)

وخلَصَ اللصُّ من الكبرياءِ؛ لأنه كان يعلمُ خطاياهِ

شَنَقَ نفسه الذي عاش مع يسوع. وأسفاه!

واعترف اللصُّ الذي عَرَفَ يسوعَ على الصليبِ

- ٣٠ -

يا مَنْ عَرَفَتِ المسيحَ ملكاً عظيماً وقوياً، احترس

يا مَنْ دُقتَ قوَّةُ الربِّ ورأيتَ معجزاتِ مجده، تواضع

يا مَنْ سِرتَ معه في موكبِ الظافرين، كُنْ على حذرٍ

التلميذُ سَقَطَ بعد أن عاينَ الجَدَّ

(١) يهوذا الاسخريوطى

- ٣١ -

خُلِّصَ اللَّصُّ؛ لَأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ
أَدْرَكَ الْمَجْرُمُ أَنَّ سَلْبَ الْأَشْيَاءِ وَالْحَيَاةَ لَا يُفِيدُ
أَدْرَكَ الْأَثِيمُ أَنَّ يَدَ الْعَدْلِ سَوْفَ تَسْلُبُهُ الْحَيَاةَ
طَلَّبَ فِي مَحَنَةِ الْمَوْتِ رَجَاءً فِي الْقِيَامَةِ، فَنَالَ مَا طَلَبَ

- ٣٢ -

عَدْلُ الْأَرْضِ - مَهْمَا كَانَ - لَا يَزُودُ الْحَيَاةَ
الْعَدْلُ يَقْتُلُ، وَلَا يَغْفِرُ لِلْجَنَانَةِ
أَدْرَكَ اللَّصُّ أَنَّ لِلَّهِ عَدْلًا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ
ذَلِكَ الَّذِي يَزُودُ الْمَسْلُوبَ، وَيَقْعُدُ الضَّالَّ، وَيُنِيرُ الْجَهَّالَ

- ٣٣ -

لما آمنَ اللّصُّ بالحياةِ الجديدةِ أنقذه الإيمانُ
تأمّل، الإيمانُ لا يطلبُ عملاً، بل قلباً جديداً
الإيمانُ جعل الأثيمَ باراً؛ لأنه أدرك شريعةَ الحياةِ
بالإيمانِ نحيماً، والحياةُ تعطي العملَ الصالحَ

- ٣٤ -

الوصيةُ السادسةُ في وصايا الصليبِ:
العطاءُ لا يُوزنُ بقدراتِ وأعمالِ الناسِ
أخبرني يا مَنْ يميزانٍ دقيقٍ تُعطي الآخريينَ،
ماذا فعل اللّصُّ لكي ينال فردوس النعيم؟

- ٣٥ -

يا مَنْ تُعْطِي مَنْ يُعْطِيكَ وَتُوْلِمُ مَنْ يُقَدِّمُ لَكَ الطَّعَامَ

هل تأمّلت عطايا الله التي بلا حدود؟

هل أدركت كيف يجودُّ على الخطاة بالوجود والحياة؟

نعم. هو يعلمُ شَرَّ الأشرارِ، ومع ذلك يُشرقُ عليهم بنورِ شمسِهِ

- ٣٦ -

يلمعُ الصليبُ بنورِ العطاء؛ لأنَّ الذي أَخَذَ ولم يُعْطِ^(١)

نال، ليس عطيةً أرضيةً، بل فردوسَ النعيمِ

تعال وتعلّم معي شريعةَ الصليبِ وقانونِ العطاءِ

غريبٌ على سَمْعِ الناسِ أنْ نقولَ عطاءً بلا مقابل

(١) اللص دائماً يأخذ ونادراً ما يُعطي.

- ٣٧ -

الوصية السابعة مثل كمال رقم سبعة

تقول لك في حسارة: أعط من لا يستحق

والعطاء يا ابن البيعة هو الملكوت

من يستحق الملكوت السماوي؟ من يمكنه أن يُجيب؟

- ٣٨ -

لا تخف من أن تُعطي من لا يستحق؛ لأنك أنت أول الغير المستحقين

هل كنت تستحق الحياة عندما خلَقك الله من العدم؟

هل كنت تستحق حميم الميلاد الجديد لأنك تُبِت عن خطاياك؟

هل كنت تستحق، وهل أنت الآن تستحق حُب الحياة؟

- ٣٩ -

الاستحقاقُ نوعان: واحدٌ تكسبه بالعرقِ والجهادِ

وهذا الاستحقاقُ نناله عن كلِّ الأمور الأرضيةِ

والثاني استحقاقُ إنعامٍ خاصٍ بالخطاةِ

هو جُودٌ وعطاءٌ للهاكِين

- ٤٠ -

الاستحقاقُ الأوَّلُ ثمرةُ الجهادِ والتعبِ، فيه فرحٌ

الاستحقاقُ الثاني يُعطى مجاناً، وفيه راحةٌ الأبدِ وعزاءُ السماءِ

الاستحقاقُ الأوَّلُ نراه أمامَ عيونِنَا ونعملُ لكي ننالَه

الاستحقاقُ الثاني نراه بالإيمانِ ويُوهبُ لنا بالروحِ القدسِ

- ٤١ -

مَنْ يَعْمَلُ يَنَالُ أُجْرَتَهُ وَالْأَجْرُ يَسَاوِي الْعَمَلَ

مَاذَا عَمِلْتَ لِتَنَالَ الْمَلِكُوتَ؟

مَاذَا حَقَّقْتَ لَكِي تَصْبِحَ ابْنًا لِلَّهِ بِنِعْمَةِ التَّبَنِيِّ؟

وَمَاذَا عَمِلْتَ لَكِي تَنَالَ حَيَاةً وَاهِبِ الْحَيَاةِ فِي الْمَنِّ السَّمَاوِيِّ؟

- ٤٢ -

أَجِبْنِي: إِنْ خَدَمْتَ الْمَلِيكَ، نَلْتَ الْمَكَافَأَةَ: الْمَالُ وَاللَّقْبُ

وَلَكِنْ، هَلْ خَدَمْتَ خَالِقَكَ، أَمْ أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الَّذِي يَخْدُمُكَ؟

يُعْطِيكَ الْوُجُودَ وَالْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ، ثُمَّ عَرِشًا بِجَانِبِهِ

مَنْ الَّذِي يَخْدُمُ الْآخَرَ يَا مَنْ تَطَلَّبَ الْفَهْمَ وَالْحِكْمَةَ؟

- ٤٣ -

جاءَ الملكُ وخدمَ الخلاصَ وأعطانا حياتَه

نعم. يا مَنْ تريد أن تفهم

أعطى لنا أن نشارك في مسيحته

وصرنا بها مسيحيين

- ٤٤ -

أعطانا قوته واسمَه وقيامته ومجده

أعطى كلَّ شيءٍ ولم يحفظ لنفسه شيئاً

وبعد أن قدّم كلَّ شيءٍ أعطانا جسده ودمه

بأي ميزان يُوزنُ هذا الاستحقاق؟

- ٤٥ -

الوصية الثامنة: لا تحجل من احتياجات الجسد

قال واهب المياه لكل عطشان:

أنا عطشان

وشرب الخلل الممزوج بالمرارة

- ٤٦ -

لم يخجل من فقره وقال: "ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه"

قارن نفسه بالثعالب والطيور، ووجد أنه لا يملك ما تملك

لا يخجل من احتياجات الجسد

الخلل يجب أن يتطهر بالصليب

- ٤٧ -

الوصية التاسعة: لا تكتتم ما في قلبك عن عالم الخفايا

هل سمعت هذه الكلمات: "إلهي إلهي لماذا تركتني"؟

هل سألت نفسك كيف نطق بها الذي قال: أنا والآب واحد

لست أذيع سرّاً جديداً إذا قلتُ عَلَّمَنَا الصليبُ الشكوى للآبِ

- ٤٨ -

الكائن في حضن الآب يقول: "لماذا تركتني"؟

أَسأل ما تشاء؛ لأنَّ الله يهبُ أكثرَ مما نظن

وصممتُ الآبِ على الجلجثة أجاب عليه الابنُ:

"في يديك أستودعُ روحي" لأنك لم تتركني

- ٤٩ -

لماذا سألتَ هذا السؤالَ يا ابنَ الله؟

أنتَ تعلمُ الجوابَ قبلَ أنَ تسألَ

رسمتَ شريعةَ الصليبِ بعطيةِ السؤالِ

عزّةُ الإنسانِ أنَ يستَجِوبَ خالقَهُ

- ٥٠ -

لا تحملِ الصليبَ عبثاً، ولا تكثُم ما يدورُ في خلدِكَ

أَسأل ما تشاءُ، ومهما كان السؤالُ

الخجلُ يجبُ أنَ يتطَهَّرَ في الصليبِ

طَهَّرْ خجلكَ لكي تصبحَ ملكاً متوجَّحاً مع يسوع

- ٥١ -

قَدِّمَ لَهُ مَا تَشَاءُ مِنْ شِكَايَةٍ، وَلَكِنْ لَا تَطْلُبِ الْإِنْتِقَامَ
لَا تَجْعَلِ رَجَاءَ حَيَاتِكَ فِي النَّاسِ حَتَّى لَا تَقَعَّ فِي بَعْرِ الْكُفْرِ
يَفْصَلُ الصَّلِيبُ بَيْنَ الرَّجَاءِ فِي النَّاسِ، وَالرَّجَاءِ فِي اللَّهِ
عِنْدَ الصَّلِيبِ مَا تَكُلُّ رَجَاءً فِي النَّاسِ بِالْمَسَامِيرِ وَالشُّوْكِ

- ٥٢ -

أَخِزْ وَصَايَا الصَّلِيبِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ:

"فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي"

هَذِهِ خَاتَمَةُ كُلِّ الْوَصَايَا

كُلُّ الْوَصَايَا تَقْوُدُ إِلَيْهَا

أَحْرَهُ الصَّلِيبِ وَجْهَهُ الْآبِ

وَمَجْدُ الصَّلِيبِ تَرَاهُ فِي النِّهَايَةِ

تَحْكُمُ النِّهَايَةُ وَحَدَّهَا عَلَى كُلِّ مَا سَبَقَ

وَنَهَائَةُ الصَّلِيبِ مَجْدٌ وَكَرَامَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ